صلاحية القرآن الكريم لزماننا ومكاننا

تأملات قرآنية

د.ابتسام بدر الجابري

جامعة ام القرى

المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

صلاحية القرآن الكريم لزماننا ومكاننا ...تأملات قرآنية

أهدافه البحث

١- بيان أن القرآن الكريم هو المنهج الحق الذي هو صلاح وإصلاح ، وفوز وفلاح للأمة في الدارين.

٢- القرآن الكريم هو سبيل نجاة هذه الأمة وليس لنا صلاح ونصرة في زماننا اليوم بغير المنهج القرآني الذي انتهجه السلف الصالح رحمهم الله.

٣- إثبات أن القرآن الكريم في ضوء القرآن الكريم واجب إتباع نهجه والتحاكم إليه.

٤- بيان أن القرآن الكريم صالح ومصلح في كل زمان ومكان.

٥- بيان صلاحية تطبيق منهج القرآن الكريم في كل أمورنا الدينية والدنيوية.

٦- بيان أن الله الحكيم سبحانه هو أعلم بما يصلح لعباده فهو خالقهم .

٧- بيان كمال وشمول القرآن الكريم.

٨- دحض كثير من الشبه التي ادعى أصحابها المغرضون أو الجاهلون عدم صلاحية القرآن الكريم لزماننا ومكاننا، واتخذوا ذلك حيلة في التلبس بكثير من الأمور الباطلة دينيا وعقليا وفطريا ودنيويا.

٩- بيان أن السعادة الحقيقة والتي يسعى إليها العباد إنما تتحقق بإتباع المنهج الذي ارتضاه رب العباد لهم .

١٠-حال الأمة اليوم في كل مكان – بنسب مختلفة- مع بعدها عن كتاب ربها يدل دلالة كبيرة على أن لا عزة لها إلا بالرجوع إليه قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور: ٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ كل صلاح وإصلاح ، وفوز وفلاح ، وسعادة في الدارين لن تتحقق مالم يكن نهج القرآن الكريم هو النهج الذي يسلكه العباد إلى رب العالمين، قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء: ٩ .

ولقد حصل خلل في التزام العباد بهذا النهج ، بل وجرأة في نسبة النقص إليه، وكذا كثرت الدعاوى إلى التجديد، ونبذ الدين، وكانت حصيلة هذا الخلل الجسيم حدوث الانحطاط ، وظهور الأفكار والمعتقدات الباطلة ،وانتشار المنكرات ، والمجاهرة بالفواحش، واستنقاص شعائر الدين ، وإن كانت هذه الصورة ليست قاصرة على زماننا ومكاننا فحسب ،بل هي سبب سقوط الدول منذ سابق الزمان، إلا أنّ الصيحة حين تعود بهذه القوة تحتاج الأمة لمن يسدد لتتدارك الأمة الزلل والخلل علّها تنجو من الغرق .

ولا شك أن أصل ظهور الفساد ،وعدم حصول الأمن والأمان، وزيغ العباد، هو بعدهم عن نهج كلام رب العباد ،وهو العليم بما هو صالح لهم في كل زمان ومكان، وهو سبحانه خالقهم والحكيم فيما ارتضاه من دين وشرع لهم .

أهداف البحث:

١- بيان أنّ القرآن الكريم صالح ومصلح لكل زمان ومكان وأمة.

٢-أنّ ما يدعيه أهل الباطل وبغاة الفساد من عدم صلاحية القرآن الكريم لزماننا ومكاننا باطل.

٣-بيان أنّ منهج القرآن الكريم منهج كامل من جميع الجوانب التي هي ضروريات أو حاجيات أو تحسينيات .

٤-الرد على بعض الشبهات حول هذه القضية.

٥-بيان صلاحية هذا المنهج القرآني من خلال تأملات ووقفات وومضات في آيات.

منهج البحث:

قسمت البحث إلى عدة مباحث وذكرت لكل مبحث عدة شواهد قرآنية مع التعليق عليها.

المبحث الأول: صلاحية القرآن الكريم لزماننا ومكاننا في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني :نماذج وصور لصلاحية القرآن الكريم لزماننا ومكاننا.

١- الاعتقادات ٢-العبادات

٣- المعاملات ٤-الأخلاق

٥- الحدود ٦-العلم

المبحث الثالث: شبهات وردود.

أسئلته:

هل للأمم نهج تقتفيه هو خير من نهج ارتضاه لها رب العالمين؟

أيمكن أن تفلح الأمة لو لم تتخذ كتاب ربها منهجا ودستورا؟

هل المنهج القرآني يحتاج إلى تجديد أو تعديل ، وهل هو غير صالح كما يدعي المفسدون؟ أو الجاهلون ؟ أو المغرضون؟

أبرز الدراسات السابقة :

لم أقف على دراسة سابقة بحثية لكن مقالات ومحاضرات ومواعظ وردود.

هذا وأسأل الله لنا البصيرة والثبات على نهج هذا الكتاب إلى الممات ، وأن يرزقنا أنّ نكون من خيرة هذه الأمة باليقين والقوة وبحسن الاقتداء بخير الخلق أجمعين في اهتدائه بكلام ربه ،والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد.

المبحث الأول:

صلاحية القرآن لزماننا ومكاننا:

القرآن الكريم هو كلام رب العالمين ،وصفة من صفاته ،وهو شرع لنا ارتضاه ، وهو خالقنا والعالم بما يصلح لنا وهو حكيم في شرعه وقدره سبحانه .

وقد دلت على شمولية وكمال وصلاحية القرآن الكثير من آياته منها:

١-قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) المائدة: ٣

قال ابن كثير: (هذه أكبر نعم الله عزّ وجلّ على هذه الأمة ،حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره ،ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحلّه، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه ،وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق ،لا كذب فيه ولا خلف، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم...فارضوه لأنفسكم ،فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه ،وبعث به رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه).[١]

٢-قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء: ٩ ، هو كتاب هداية ،والعبد محتاج ومفتقر للهداية في كل أحواله وأزمانه وحيث ما كان ،والمتأمل لآيات القرآن في السورة الواحدة يلحظ أنه لم تُجْعَلْ آيات العقيدة على حِدَا، وآيات الشريعة على حدا؛ الأحكام، وآيات السلوك على حدا، إلى آخره؛ بل الجميع كانت هذه وراء هذه، فآية تخاطب المؤمنين، وآية أخرى تخاطب المنافقين، وآية تخاطب النفس، وآية فيها العقيدة، وآية فيها قصص الماضين، وآية فيها الوعد وآية فيها الوعيد، وآية فيها ذكر الجنة وذكر النار، وآية فيها التشريع، وثم آية أخرى فيها أصل الخلق قصة آدم، وهكذا في تنوع؛ وهذا من أسرار السلطان الذي يكون للقرآن على النفوس؛ لأنّ الأنفس متنوعة؛ بل النفس الواحدة لها مشارب، فالنفس تارة يأتيها الترغيب وتارة يأتيها الترهيب، تارة تتأثر بالمثل، تارة تتأثر بالقصة، تارة هي مُلْزَمَة بالعمل، تارة هي ملزمة بالاعتقاد.

فَكَوْنُ هذه وراء هذه وراء هذه تُغْدِقُ على النفس البشرية أنواع ما تتأثر به. وهذا لا يمكن أن يكون إلا من كلام من خَلَقَ هذه النفس البشرية، قال تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) الملك: ١٤ .

فتجد أنّ القرآن يحاصرك، فأيُّ إنسان أراد أن يفرّ لا يمكن أن يفرّ من القرآن، ستأتيه قوة بآية فيها وصف الكافرين، آيات فيها قوة في وصف المنافقين، آيات فيها قوة في وصف المؤمنين، آيات فيها العقيدة، فيها الماضي، فيها الحاضر، فيها النبوة، فيها الرسالة، فيها الدلائل، فيها حال المشركين، إلى آخر ما يحصر على النفس الحية والعقل الواعي الذي يتحرك وعنده همة يحصر عليه الهروب. وهذا لا يمكن أن يحصره في أنواع النفس البشرية الواحدة إلا من خَلَقَ هذه النفس

وتَكَلّمَ بهذا القرآن لإصلاحها، (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء: ٩ .

فكيف إذاً بأنواع الأنفس المختلفة، هذا الذي يَصلُحُ له الترغيب، وهذا الذي يَصلُحُ له الترهيب، وهذا الذي يَصلُحُ له وصف الجنة، وهذا الذي ينشأ عنده الإيمان بالحب إلى آخره[٢] ..

٣- قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر: ٩ . القرآن الكريم تكفل الله بحفظه وهذا أمر يدل دلالة بالغة أن المراد به أن يبق عقيدةً وتشريعاً ومنهجاً للأمة إلى أن يقبض الله الأرض ومن عليها ؛قال الزمخشري: (ولذلك قال : إنّا نحن ، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات ، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) وبين يديه ومن خلفه رصد ، حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين ،وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل ، بخلاف الكتب المتقدمة ؛ فإنه لم يتول حفظها[٣])

٤- قال تعالى: (مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) الأنعام: ٣٨ ،كتاب كامل لا نقص فيه ولا تفريط فأين يبتغي الجاهلون كمالاً دونه ؟!

٥- قال تعالى: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الأنعام: ١١٤ ،ما أجمل لو كانت هذه مقولة كل عبد لله في هذه الأمة؟ استجابةً لأمر ربه واقتداءً بسنة نبيه عليه الصلاة والسلام

وفي هذا قال الطبري: (أفغير الله ابتغي حكمًا)، أي: قل: فليس لي أن أتعدّى حكمه وأتجاوزه، لأنه لا حَكَم أعدل منه، ولا قائل أصدق منه (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا) يعني القرآن، "مفصّلا"، يعني: مبينًا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم[٤]) .

٦- قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) النحل: ٨٩ كتاب بيّن مفصل واضح ،أيعقل أن يكون منهجا لزمان دون زمان ومكان دون مكان؟ ذاك كلام مغرض جاهل!

٧- قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) المائدة: ٤٨ ، فقرآننا هو الكتاب المهيمن الحافظ الناسخ المصدق للكتب قبله فليس هناك كتاب يجب إتباعه إلا هو، قال الطبري: (أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مُصَدِّقًا لِلْكُتُبِ قَبْلَهُ ، وشَهِيدًا عَلَيْهَا أَنّهَا حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ ، أَمِينًا عَلَيْهَا ، حَافِظًا لَهَا .

وَأَصْلُ الْهَيْمَنَةِ : الْحِفْظُ وَالارْتِقَابُ ، يُقَالَ إِذَا رَقَبَ الرَّجُلُ الشّيْءَ وَحَفِظَهُ وَشَهِدَهُ : قَدْ هَيْمَنَ فُلاَنٌ عَلَيْهِ ، فَهُوَ يُهَيْمِنُ هَيْمَنَةً ، وَهُوَ عَلَيْهِ مُهَيْمِنٌ [٥]).

قال ابن كثير:(جعله مهيمنا عليه، وناسخا له، وخاتما له؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل منجما بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن أنزله عليه، وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى، فاليهود استعملهم الله من لدن موسى إلى زمان عيسى والنصارى ،من ثمّ إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم، ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة)[٦]

٨- قال تعالى: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) الأنعام: ١٩ ، فالقرآن حجة ونذير لكل من بلغه من الجن والإنس إلى قيام الساعة ، فكيف يجحده الجاحدون اليوم.قال مقاتل بن سليمان(ومن بلغ القرآن من الجن والإنس ، فهو نذير لهم ، يعني القرآن إلى يوم القيامة[٧])

وقال الطبري:(يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ : (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) الأنعام: ١٩ عِقَابَهُ ،وَأُنْذِرُ بِهِ مَنْ بَلَغَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ غَيْرِكُمْ ، إِنْ لَمْ يَنْتَهِ إِلَى الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ وَتَحْلِيلِ حَلَالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ وَالإِيمَانِ بِجَمِيعِهِ ، نُزُولَ نِقْمَةِ اللَّهِ بِهِ.)[٨] .

المبحث الثاني: نماذج وصور لصلاحية القرآن الكريم لزماننا ومكاننا

١-الاعتقادات : القرآن الكريم كتاب ربنا من آمن به اطمئن وأنس وانتفع به في الدارين، فليس شيء أنفع للعبد من تدبره وتأمله والوقوف على آياته ،ففيه آيات التوحيد والإيمان بالله والرسل والملائكة واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

ويقين العبد بربه ومعرفته به وبكمال عدله وحكمته يبعث في نفسه الطمأنينة وإن عاش أو مات مظلوما ، وإن لم يستمتع بحياته كما استمتع الآخرون.

لأن الحياة الدنيا ليست هي دار البقاء عنده؛ بل هي محطة ومرحلة زمنية يعيشها برهة وبقاؤه حقيقة هو في الدار الآخرة ؛قال تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) الحديد: ٢٠ .

هكذا الحياة الدنيا في نظره كما صورها القرآن الكريم ،فكل ألم أو هم أو ضيق ليست هي النهاية كما يعيشها كثير من الناس اليوم ممن نسي أو جهل القرآن ولم يتخذه منهجا ودستورا ! بل هو ابتلاء وهو سنة الله كما قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ

وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) البقرة: ٢١٤ .

ومن خلال هذه الآية تصور عظم البلاء على أعظم الخلق؟ أليس في ذلك عبرة لكل مبتلى!

- كما أن معرفة العبد بربه بأسمائه وصفاته يجعله أكثر توكلا عليه ويقينا بقدرته وصبراً واحتساباً عند ابتلائه وأكثر طمأنينة لحكمه وقدره .وحين يعيش العبد بهذه الاعتقادات والإيمانيات يعيش طمأنينة وسعادة لا يعيشها أغنى أغنياء الأرض وملوكهم ممن هم بعيدون عن نهج القرآن الكريم، (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) الرعد: ٢٨ ،ونحن نرى في عالمنا اليوم من هم طريحي الأسرة لا يستطيعون الحراك لكنهم يستشعرون سعادة بطمأنينتهم وإيمانهم بالله ،وبعضهم يسطر آثارا لا يسطرها المتحركون وهو على فراشه بقوة يقينه وعظيم توكله واستعانته بربه وصدقه معه،فمن يصدق مع ربه يصدقه، والصدق مع الله يجد العبد أثره في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)[٩] ، وهذا حال من صدق مع الله

وهذه المعاني يحتاجها الناس اليوم في زماننا أكثر من أي زمان آخر حيث انتشرت الأمراض النفسية والوساوس وحالات الانتحار وإيثار الدنيا على الآخرة.

٢-العبادات: الله عز وجل ذكر في كتابه فرضية العديد من العبادات ، والمتأمل في كتاب الله يجد أن الحكمة فيها هي تحقيق تقوى الله ؛ولنبدأ بالصلاة : الأمر بالصلاة وذكر المصلين فيها مرتبط بقوله(أقيموا- يقيمون) ونحوها مما يفيد أنه ليس المطلوب منها فقط هي التعبد بالحركات والكلمات دون تحقيق تقوى الله (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ

أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) العنكبوت: ٤٥ والصلاة صلة بين العبد وربه، فما أجمل أن يستشعر العبد لذة هذه الصلة ويهرع إليها بين حين وآخر،

وفي زمان كزماننا تنتشر فيه ألوان شتى من المنكرات والملهيات، والتي قد تصرف عن العبد لذة المناجاة، نقول: ارجع إلى كتاب الله وامتثل أمر الله في إقامة الصلاة كما ينبغي لوجه الله، وليست حركات وكلمات دون تحقيق صلة بالله!

-الصيام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة: ١٨٣ ،وهذا معنى عظيم يفتقده بعض الناس في زماننا- بل وفي مكاننا أرض الحرم – ممن كان مقيما أو زائرا لأرض الحرم في رمضان أو غيره .

فيصوم قوم عن الطعام والشراب والجماع في نهار رمضان، وتأمل حاله في ليل رمضان ، وكأنه لم يكن صائما ولا قائما شيئا من ليله والله المستعان .

-الحج: عبادة بدنية ومالية تستلزم تقوى الله تعالى بكل صورها ومعانيها ،تربية عالمية للأمة في خير مكان وزمان (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) البقرة: ١٩٧ ،فمن تربى على هذه الخيرية في هذه المدة الزمنية ،والمساحة المكانية، ثم انتقل عن المكان والزمان تبقى هذه المثالية والخيرية متمثلة فيه مدة حياته بإذن الله .

وكذا في كل العبادات الأخرى، بل حتى عاداتنا متى أخلصنا فيها النية لوجه الله أصبحت عبادات.

٣-المعاملات:

-البيع والربا (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ

مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة: ٢٧٥ ، ومن المعلوم أن هناك فروقا عظيمة مؤثرة بين البيع والربا منها :

أولا : أن البيع قد أحله الله والربا قد حرمه الله ، وعلى العباد أن يتلقوا ذلك بالقبول من غير اعتراض .

ثانيا : أن الاتجار بالبيع والشراء قابل للربح والخسارة والمهارة الشخصية والجهد الشخصي ، أما الاتجار بالربا فهو محدد الربح في كل حالة[١٠] لا يبذل فيه جهد ولا تستخدم فيه مهارة فهو ركود وهبوط وكسل .

ثالثا : أن البيع فيه معاوضة ونفع للطرفين ، والربا إنما يحصل فيه النفع لطرف واحد، قال رشيد رضا في تفسير المنار:[١١] وقد جعل أكثر المفسرين هذا الجواب يعني قوله : { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } من قبيل إبطال القياس بالنص أي أنكم تقيسون في الدين والله تعالى لا يجيز هذا القياس . والمعنى الصحيح أنّ زعمهم مساواة الربا للبيع في مصلحة التعامل بين الناس إنما يصح إذا أبيح للناس أن يكونوا في تعاملهم كالذئاب ، كل واحد ينتظر الفرصة التي تمكنه من افتراس الآخر وأكله ،وهذا حقيقة ما نعيشه اليوم في زماننا –إلا ما رحم الله– ولكن ينبغي أن يعلم أنّ الله رحيم يضع لعباده من الأحكام ما يربيهم على التراحم والتعاطف ، وأن يكون كل منهم عونا للآخر لا سيما عند شدة الحاجة إليه ، ولذلك حرم عليهم الربا الذي هو استغلال ضرورة إخوانهم ، وأحل البيع الذي لا يختص الربح فيه بأكل الغني الواجد مال الفقير الفاقد ، فهذا وجه للتباين بين الربا والبيع يقتضي فساد القياس .

وهناك وجه آخر وهو أن الله تعالى جعل طريق تعامل الناس في معايشهم أن يكون استفادة كل واحد من الآخر بعمل ، ولم يجعل لأحد منهم حقا على آخر بغير عمل ؛ لأنه باطل لا مقابل له ، وبهذه السنة أحل البيع لأن فيه عوضا يقابل

عوضا ، وحرم الربا لأنه زيادة لا مقابل لها . والمعنى أن قياسكم فاسد لأن في البيع من الفائدة ما يقتضي حله ، وفي الربا من المفسدة ما يقتضي تحريمه ، ذلك أن البيع يلاحظ فيه دائما انتفاع المشتري بالسلعة انتفاعا حقيقيا ؛ لأن من يشتري قمحا مثلا فإنما يشتريه ليأكله أو ليبذره أو ليبيعه وهو في كل ذلك ينتفع به انتفاعا حقيقيا، وأما الربا وهو عبارة عن إعطاء الدراهم والمثليات وأخذها مضاعفة في وقت آخر فما يؤخذ منه زيادة عن رأس المال لا مقابل لها من عين ولا عمل .

وثم وجه آخر لتحريم الربا من دون البيع وهو أنّ النقدين إنما وضعا ليكونا ميزانا لتقدير قيم الأشياء التي ينتفع بها الناس في معايشهم ، فإذا تحول هذا وصار النقد مقصودا بالاستغلال ، فإنّ هذا يؤدي إلى انتزاع الثروة من أيدي أكثر الناس وحصرها في أيدي الذين يجعلون أعمالهم قاصرة على استغلال المال بالمال ، فينمو المال ويربو عندهم ويخزن في الصناديق والبيوت المالية المعروفة في البنوك، ويبخس العاملون قيم أعمالهم لأن الربح يكون معظمه من المال نفسه وبذلك يهلك الفقراء، انتهى .

وفيه مقارنة جيدة بين منافع البيع ومضار الربا لكن لا نوافقه على رد الوجه الأول وهو أن قوله (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة: ٢٧٥ من قبيل استعمال القياس في مقابلة النص ، وذلك باطل مردود ؛ لأن هذه قاعدة مسلمة والتعليل بها هو ظاهر الآية الكريمة[١٢] .

وتطبيق هذا الحكم الشرعي في زماننا الذي أصيب بأزمة مالية شديدة فيه نجاة لها من هذه الأزمة لا محالة.

الدين: فأطول آية في القرآن الكريم تتعلق بالدين قال السعدي: (هذه آية الدين، وهي أطول آيات القرآن، وقد اشتملت على أحكام عظيمة جليلة المنفعة والمقدار، أحدها: أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلم وغيره، لأن الله أخبر عن المداينة التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكرا أحكامها، وذلك يدل على الجواز، الثاني والثالث أنه لا بد للسلم من أجل وأنه لا بد أن يكون معينا معلوما فلا يصح حالا ولا إلى أجل مجهول، الرابع: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوباً وإما استحباباً لشدة الحاجة إلى كتابتها، لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط والنسيان والمنازعة والمشاجرة شر عظيم، الخامس: أمر الكاتب أن يكتب، السادس: أن يكون عدلا في نفسه لأجل اعتبار كتابته، لأن الفاسق لا يعتبر قوله ولا كتابته، السابع أنه يجب عليه العدل بينهما، فلا يميل لأحدهما لقرابة أو صداقة أو غير ذلك، الثامن: أن يكون الكاتب عارفا بكتابة الوثائق وما يلزم فيها كل واحد منهما، وما يحصل به التوثق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك، ...الثامن والأربعون: – وحقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه– اشتراط العدالة في الشاهد لقوله: { ممن ترضون من الشهداء } التاسع والأربعون: أن العدالة يشترط فيها العرف في كل مكان وزمان، فكل من كان مرضياً معتبراً عند الناس قبلت شهادته، الخمسون: يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى، فهذه الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة والفهم القاصر، ولله في كلامه حكم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده)[١٣]. :

ولذا فإن الأزمة المالية التي تعيشها الأمة في عصرنا الحاضر لا نجاة لها منه دون الرجوع إلى المنهج الرباني الذي ارتضاه الله للأمة في سائر أمورها ومن ذلك الاقتصاد .

ولقد ضبط الله الاقتصاد وجعل له قواعد وأسس متى ما التزمتها الأمة أفلحت ونجت من هذه الأزمة –بإذن الله– وهذا هو وعده سبحانه لهم قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور ٥٥

– أحكام العلاقات الدولية في الإسلام ، سواء في حالة الحرب وفي حالة السلم.

أولاً: في حالة الحرب :

يلاحظ في البداية من نصوص القرآن دلالتها على أنّ أشنع عمل للإنسان في علاقته بغيره (سفك الدماء ، وإرادة العلو في الأرض ، والفساد فيها) .

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) البقرة: ٣٠ .

وقال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا) الإسراء: ٣٣ .

وفي وصف المستحقين للجزاء الأخروي الحسن ،قال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) القصص: ٨٣

وقال تعالى : (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) البقرة: ٢٧ (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) الرعد: ٢٥

وفي ذم اليهود قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) المائدة: ٦٤.

وبالجملة فإن ذم القتل بغير حق والعلو في الأرض والفساد فيها ورد في القرآن في أكثر من مائة وعشرين موضعاً .

تتلخص المبادئ التي تحكم الحرب في ثلاثة مبادئ تضمنتها الآية الكريمة : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة: ١٩٠ .

المبدأ الأول: أن يكون القتال في سبيل الله :

بأن يخلص القصد منه إلى أن تكون كلمة الله هي العليا ، فالمصلحة الشخصية أو القومية لا تبرر الحرب ، بل تجعل الحرب غير شرعية في حكم الإسلام .

وأهمية هذا المبدأ تظهر من أن القتال أو الجهاد نادراً ما يرد في القرآن دون تقييده بأن يكون في سبيل الله ، وأحياناً يكون مقروناً بالأمر بالتقوى .

المبدأ الثاني : أن يكون القتال ضدّ من يقاتل :

قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)الأنفال: ٦٠ – ٦١

المبدأ الثالث : عدم تجاوز ضرورات الحرب :

وهذا المبدأ قيد على قاعدة " المعاملة بالمثل " فلا خيار للمسلم في عدم الالتزام بالمعايير الأخلاقية الإسلامية في معاملة العدو ، وإن كان العدو لم يلتزم بها، ولا خيار للمسلم في عدم الوقوف عند حدود الله ، وإن كان عدوه المحارب تجاوز هذه الحدود ، فإذا مثّل محاربو المسلمين بقتلى المسلمين منهم فلا يجوز للمسلمين أن يقتلوا نساء الأعداء أو صبيانهم أو غير المقاتلين منهم .

وقد أفاض المفسرون عند تفسيرهم للآية السابقة: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة: ١٩٠ [١٤] .

ومن أعظم المقومات التي قررها القرآن الكريم لترسيخ السلام في العالم التأكيد على الاجتماع في مبدأ الإنسانية

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١]، (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [الأعراف: ١٨٩]، وفي هذه الآية بيان عن مبدأ الجنس الإنساني وأصل نشأته.

قال الطبري: (يعني بقوله: "من نفس واحدة" احذروا أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم فيحل بكم من عقوبته مالا قبل لكم به؛ ثم وصف تعالى نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، وعرّف عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وامرأة واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، وأن

الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وأن بَعْدَ التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى، وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ولا يتظالموا وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله به)[١٥].

وقال ابن عادل: (هو الذي خلق كلّ واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية).[١٦]

أين هذا العالم اليوم من هذه المبادئ العظيمة؟أين هذا العالم الذي يقاتل لأجل الأرض..لأجل السلطة..وغيرها من أمور الدنيا الفانية؟أين هذا العالم الذي أقام أشنع أنواع الأسلحة النووية والكيماوية لمحاربة أخاه الإنسان؟ لم تعد هناك حتى شيء من معاني الإنسانية في زماننا ومكاننا في تعاملاتنا وعلاقاتنا –إلا من رحم الله– بل أصبح العالم المنتصر فيه يتعامل مع المظلوم بمستويات قد لا تكون في عالم البهيمية ؟ بل هي كذلك! والله المستعان .

ولو رجعت الأمة للقرآن العظيم ولنهجه الكريم لنجت لا محالة من الهمجية القاتلة التي تعيشها اليوم.

٤–الأخلاق : لقد دعا القرآن الكريم إلى التزام الخلق الفاضل في التعامل، وجعل حق الله تعالى مبنياً على التسامح، وحق العباد مبنياً على المشاحة، فلابد من ردّ المظالم، والإحسان إلى الخلق .

والدعوة إلى الأخلاق في القرآن الكريم جاءت في كثير من الآيات القرآنية وبكل صورها وأنواعها كالصدق والأمانة والتواضع والرحمة والشفقة والصبر والإحترام والقسط والعدل، وهذه الأخلاقية مطلوبة عموماً وعلى مستوى الأسرة بصفة خاصة، وقد يغفل بعض الناس عنها في الجانب الأسري وإن كان متمثلاً بها في الجانب المجتمعي خارج أسرته، بل قد يكون مناقضاً لكل صورها في أسرته،

متمثلاً لكل صورها خارجها، وامتثاله بها يكون من قبيل المجاملات أو مراعاة المصالح الشخصية وهذا خطأ عظيم؛ فالأسرة أولى بذلك الخُلق قبل المجتمع لعظيم مساسه بها وقربه منها وحاجتها إليه، وكذا لشناعة ما يخلفه سوء الخلق مع أفراد الأسرة من آثار سلبية، ومن ذلك قوله تعالى في القول الحسن: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: ٨٣]، وفي جانب العمل (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ) [الأعراف: ١٥٧].

وفي جانب العمل)وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ([لقمان: ١٨]،)إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ([النحل: ٩٠]،) وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ([آل عمران: ١٣٤]،) خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ([الأعراف: ١٩٩]،)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ([التوبة: ١١٩].

وأقف هنا على ثلاث صور أخلاقية صار فيها خلل ظاهر في زماننا:

أولا: الصدق: لقد أهمل كثير من الناس في زماننا هذه القيمة العظيمة ،فأصبح الكذب مهارة وفطنة، ونسي هؤلاء أن فقدان هذه القيمة يترتب عليه فقدان الشعور بالأمان والطمأنينة ،وليتصور كل إنسان أن الآخر كاذب، ماذا يترتب على ذلك في نفسيته وتعاملاته؟ ومن قرأ القرآن الكريم علم أمر الله عباده بالصدق، وبيانه أن نجاة الثلاثة الذين خلفوا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت كان بالصدق قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) التوبة: ١١٩ وامتداحه المهاجرين بأنهم كانوا صادقين، قال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الحشر: ٨ .

وحين نفقد الصدق نفقد الشعور بالأمان والأنس .

- ثانيا: الحياء: ولعل من صور قلة الحياء اليوم مجاهرة الناس بمعاصيهم وفواحشهم أمام الآخرين بل قد تصل الصورة إلى حثهم عليها ،والمتأمل للقرآن الكريم يجد عظيم عناية الله بعباده بتجنيبهم كل ما يقربهم إلى الفواحش والمعاصي (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) الأنعام: ١٥١. وكذلك من الصور نزع اللباس والعري بشكل فاضح في زماننا ،وتفنن الناس في صور التعري ،وكأنهم ليسوا من البشر بل من فئة الحيوان ،وقد ذكر الله قضية اللباس في كتابه وبين أنه قبل أن يكون زينة هو ستر (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) الأعراف: ٢٦، ونزع اللباس هو صورة من صور فقد الحياء ،فلا يقال اطلاقاً لمن كان نازعاً لباسه ذكرا كان أو أنثى هو حيي! ومتى نزع الحياء انتشرت الفواحش –والعياذ بالله–

- ولو تأملنا حال الصحابيات وجدناهن ضربن أعظم الأمثلة في التزام الحياء على مدى التاريخ فهذه أم خلاد جاءت منتقبة تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض الصحابة: جئت تسألي عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت: إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي، فقال صلى الله عليه وسلم "ابنك له أجر شهيدين" قالت: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال "لأنه قتله أهل الكتاب" انتهى. وفي هذا الحديث أن من قتله أهل الكتاب له أجر شهيدين وروى أبو داود أيضا "الغرق له أجر شهيدين"١ ذكره في كتاب الجهاد.

ثالثا: العفة : وهي شأنها عظيم في القرآن العظيم، فقد راعى الله في محافظتها كل ما يؤدي إليها ويمنع ضدها ،سواء بما يتعلق بالخواطر والأفكار وغض البصر وتحديد المحارم وأحكام الاستئذان ،وتجنب كل ما يؤدي إلى الزنا.

وقد كان في تاريخ الإسلام الجواري والإماء يتعففن

عن جَابِر- رضي الله عنه- أَنَّ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ يُقَالُ لَهَا مُسَيْكَةُ وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا أُمَيْمَةُ فَكَانَ يُكْرِهُهُمَا عَلَى الزِّنَى فَشَكَتَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- فَأَنْزَلَ اللّهُ (وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ) إِلَى قَوْلِهِ (غَفُورٌ رَحِيمٌ).[١٧]

ومن صور العفة لحرص على الحجاب وضوابطه

فقد كن -رضي الله عنهن- يلتزمن الحجاب وكذا كل ما يترتب عليه من ضوابط تلزم لحفظه من مراعاة آداب الطريق وعدم الخلوة أو الاختلاط.

وهذه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت لمولاها نبهان لما أعتق: يا بني إنك لن تراني بعد اليوم، إنها وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من أعتق عبدها فلا يراها. رواه الترمذي وصححه.

وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أن النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كن إذا سلمن من المكتوبة قمن فينصرفن إلى بيوتهن وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صلى من الرجال ما شاء الله فإذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قام الرجال. متفق عليه.

ومع كل هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدهن إلى جعل صلاتهن في بيوتهن فإن صلاتهن في بيوتهن خير لهن من صلاتهن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بغيره من المساجد: ففي المسند: عن أم المؤمنين أم سلمة رضي

الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((خير مساجد النساء قعر بيوتهن)).

وفي المسند أيضاً: عن أم حميد الساعدية رضي الله عنها أنها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن تصلي في مسجده فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك، قال: ((قد علمت أنك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي)) فأمرت رضي الله عنها فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله) تخريجه.

وانظر إلى شأنهن في الاختلاط (فعن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه رضي الله عنه :أنه سمع النبي يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق ، فقال رسول الله :استأخرن ،فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به) سنن أبي داوود كتاب الأدب باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق قال الشيخ الألباني حديث حسن السلسلة الصحيحة حديث ٨٥٦

ولا شك أن التهاون في هذه القضية يترتب عليه كثير من المآسي التي وجدت في زماننا كظهور الأمراض الخطيرة والتي لم يسبق أن كانت في الأزمنة السابقة ،وكضياع الأنساب وتشتت الأولاد، وقتل الأجنة ،وخراب البيوت، وكثرة الجرائم، وكذا أصبحت حياة بعض الناس فقط لتلبية غرائزهم الجنسية بأي صورة كانت، بل وقد فقدت بناء على ذلك العلاقة الزوجية الشرعية والفطرية سلامتها والرغبة إليها .

قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) الإسراء: ٣٢ (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) النور: ٣٠ – ٣١ .

٥- الحدود: وهذا الأمر صار حوله جدل كبير، واتهم الجاهلون المغرضون كتابنا وديننا بعدم الرحمة. والمتأمل لكتاب الله والواقع يوقن بحكمة الحكيم سبحانه، وعدم جدوى أي حكم غير حكم الله .

وبإقامة هذه الحدود المتقدمة يأمن الناس على دينهم وأنفسهم وعقولهم وأنسابهم وأموالهم وأعراضهم فيرتدع الناس عن هذه الجرائم ، ويفوزوا بالسعادة في دينهم ودنياهم وآخرتهم ، وهذا بخلاف القوانين الوضعية التي غيرت أحكام الله وحدوده ، وبدلتها بقوانين من وضع البشر الناقصين من كل وجه ، حيث جعلت جزْاء المجرمين المعتدين على الناس بانتهاك حرماتهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم السجن أو الغرامات المالية فقط ، فكانت النتيجة انتشار الجرائم والفوضى وانتهاك الحرمات والاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض من غير مبالاة ولا حياء ولا وازع ولا رادع ، فصار الناس في تلك الدول المعطلة لحدود الله لا يأمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وقد قال الله تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن

لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) المائدة: ٤٤، وقال تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) المائدة: ٥٠[١٨] .

فما جاء في القرآن الكريم من حدود وعقوبات وضوابط منذ القتل والقطع والجلد وأنواع التعزيرات فيها حد لهذه الجرائم التي انتشرت في زماننا بصورة ظاهرة حين غُيّب القرآن الكريم من قلوب الكثيرين.

٦- العلم: دعا الله في كتابه إلى طلب العلم وامتدح العالمون ، وفي زماننا وعالمنا هذا نجد تهافت الناس على المراتب العلمية، والكراسي الوظيفية ،وهو أمر طيب لكن لو كان بمنظاره الشرعي الصحيح، فما هو العلم الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ورغب فيه؟ (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) فاطر: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) الزمر: ٩ ، نعم هناك بون شاسع بين علم يوصل إلى خشية الله، صاحبه قانت آناء الليل ساجدا وقائما، يحذر الآخرة، ،وبين علم صاحبه متكبر متجبر عاصٍ كأنّه أوتي العلم من لدنه (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) القصص: ٧٨ ، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) المجادلة: ١١.

وقال: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) آل عمران: ٧

وقال: (لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) النساء: ١٦٢

وقال: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) آل عمران: ١٨

وقال: (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) القصص: ٨٠ .

وقال: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) العنكبوت: ٤٩ .

وقال: (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) الروم: ٥٦.

وقال: (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) سبأ: ٦

هكذا هم العلماء فهل علماء زماننا يعيون ذلك ويمتثلونه؟؟ – نسال الله ذلك–.

قال ابن كثير في قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ،أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى –كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر)[١٩]

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سفيان عن أبي حيان التيمي عن رجلٍ قال: كان يقال العلماء ثلاثة ، عالم بالله وعالم بأمر الله وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله ، فالعالم بالله وبأمر الله : الذي يخشى الله ويعلم

الحدود والفرائض ، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله : الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله : الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله.

وأخرج ابن أبي حاتم ، وَابن عدي عن مالك بن أنس رضي الله عنه قال : إن العلم ليس بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله في القلب.[٢٠]

ووعد الله بالرفعة لمن أوتي علما فقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)المجادلة: ١١، وذِكر العلماء بالجميل وعدم ذكرهم بأي سوءٍ أو قدح هذا امتثال لأمرين:

١- الأمر الأول: امتثال لقول الله – عز وجل – (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) التوبة: ٧١ ، ولقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) المجادلة: ١١ ،

ولقوله – عز وجل – (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) النساء: ٨٣

فَبَيَّنَ الله – عز وجل – منزلة أهل العلم وبَيَّنَ فضل العلم وفضل أهله وأنهم مرفُوعون عن سائر المؤمنين درجات لِمَا عندهم من العلم بالله – عز وجل –.

ومعلومٌ أنّ العلماء هم الذين أثنى الله – عز وجل – عليهم وأثنى عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم، فواجبٌ إذاً بنص الآية أن يُوَالَوا وأن يُذْكَرُوا بالجميل وأن يُحَبُّوا وأن يُنْصَرُوا وأن لا يُذْكَرُوا بغير الحَسَنِ والجميل.

٢- الأمر الثاني: أنّ القدح في أهل العلم فيما أخطؤوا فيه –وسيأتي مسألة مستقلة لذلك إن شاء الله– أنّ القدح فيهم يرجع في الحقيقة عند العامة إلى قَدْحٍ في حَمَلَةِ الشريعة ونَقَلَةِ الشريعة وبالتالي فيضعف في النفوس محبة الشّرع؛ لأنّ أهل العلم حينئذٍ في النفوس ليسوا على مقامٍ رفيع وليسوا على منزلةٍ رفيعة في النفوس.

فحينئذ يُشَكْ فيما ينقلونه من الدين وفيما يحفظون به الشريعة، فتؤول الأمور حينئذ إلى الأهواء والآراء فلا يكون ثَمّ مرجعية إلى أهل العلم فيما أشكل على الناس فَتَتَفَصّمْ عرى الإيمان ...ولا يُشْتَرَطُ في العالم أنْ لا يُخْطِئ، فعلماء الحديث والأثر وأهل الفقه والنظر ربما حصل منهم أغلاط لأنّهُم غير معصومين، وهذه الأغلاط التي قد تحصل منهم حُصُولها من نِعَمِ الله – عز وجل ،فالعالم يُدَقِّقْ ويَتَحَرّى من الأقوال ولا يُقَلِّدُ عالماً في كل ما قال؛ لأنّ المسائل كثيرة جداً وهو بشر فقد يتهيأ له في المسألة أَنْ يُدَقِّقْ وفي مسألة أخرى لا يدقق وهكذا.

فليس منهم أحد أراد المخالفة وإنما كلهم أراد المتابعة وتَحَرّيْ الحق ولكن ربما أصاب وربما لم يصب. [٢١]

ويلزم العلماء وطلبة العلم الشرعي –إن كانوا عصاة– أن لا يفعلوا المعاصي والبدع أمام العوام وذلك لأنهم ممن يقتدى بهم، ويظن العوام أن تلك المعصية من الدين ،وإن كان هذا المنهج في الإقتداء خاطئ لأن البشر غير معصومون ،والدين يؤخذ من القرآن الكريم وسنة خير المرسلين عليه الصلاة والسلام.

وفي القرآن الكريم صور عظيمة للإعجاز العلمي والتشريعي والبلاغي والأدبي مما وصل إليه العلم حديثاً لا تخفى وهي كثيرة ،وما زال الناس مع مرور الزمان واختلاف المكان يتأملون القرآن الكريم ويقفون على صور عظيمة لإعجازه، وكل ذلك أيضا يدل دلالة كبيرة على صلاحية نهجه لكل زمان ومكان وأمة.

المبحث الثالث : شبهات وردود

ادعى بعض الناس عدم صلاحية القرآن الكريم لزماننا ومكاننا ولا يخلو حال الداعين إلى هذه النحلة من أحد أمرين :

* إما أن يذكروا كل هذا الحشد الهائل من الأحكام، ويكذبوا بما جاء فيها من الآيات والأحاديث، وكفر هؤلاء معلوم بالضرورة من الدين.

* وإما أن يقرّوا بوجود هذه الأحكام في الكتاب والسنة، وينكروا صلاحيتها للتطبيق وكفالتها بالمصالح في هذا العصر، وفي هذا المسلك من الزندقة والكفر ما تكاد السماوات تنفطر منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً!، فإن عيب هذه التشريعات عيب للمشرِّع جل في علاه، وكفر من يجتريء على ذلك معلوم بالضرورة من الدين.

وهؤلاء بهذا المسلك يجعلون الإنسان ندّاً لله الذي خلقه، بل هم –بهذا– يعلون كلمة الإنسان على كلمة الله جل جلاله، ويمنحونه من السلطة والاختصاص ما يحجرون مثله على الله جل في علاه، وبهذا يصبح الإنسان "رباً" فوق الرب يحكم بما يريد، ويقضي بما يشاء!!

لقد استحق إبليس لعنة الخلد ونار الأبد لأنه رد على الله حكماً واحداً من أحكامه ، فكيف بهؤلاء وهم يردون على الله كافة شرائعه وأحكامه ويتهمونها

بالقصور والجمود وانعدام الصلاحية؟! ترى هل يبقى مع هذا المسلك أدنى مثقال ذرة من إيمان.

يقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: (والقرآن مملوء بأحكام وقواعد جليلة، في المسائل المدنية والتجارية، وأحكام الحرب والسلم، وأحكام القتال والغنائم والأسرى، وبنصوص صريحة في الحدود والقصاص.

فمن زعم أنه دين عبادة فقط أنكر هذا، وأعظم على الله الفرية، وظنّ أن لشخص كائناً من كان، أو لهيئة كائنة من كانت، أن تنسخ ما أوجب الله من طاعته والعمل بأحكامه، وما قال هذا مسلم قط ولا يقوله، ومن قال فقد خرج عن الإسلام جملة، ورفضه كله، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم).

ويقول الشيخ محمد الخضر حسين في معرض رده على هؤلاء: (وفي القرآن أحكام كثيرة ليست من التوحيد ولا من العبادات، كأحكام البيع والربا والرهن والدين والإشهاد وأحكام الزواج والطلاق واللعان والظهار والحجر على الأيتام و الوصايا والمواريث وأحكام القصاص والدية وقطع يد السارق وجلد الزاني وقاذف المحصنات وجزاء السعي في الأرض فساداً، بل في القرآن آيات حربية وهذا يدلك على أن من يدعو إلى فصل الدين عن السياسة إنما تصور ديناً آخر وسماه (الإسلام) إلى أن يقول: (فصل الدولة عن الدين هدم لمعظم الدين، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين).

ويقول الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية: (إن هذا الفصل مؤامرة بالدين للقضاء عليه، ولقد كان في كل بدعة أحدثها العصريون المتفرنجون في البلاد الإسلامية كيد للدين ومحاولة للخروج عليه، لكن كيدهم في فصله عن السياسة أدهى وأشد من كل كيد، فهو ثورة حكومية على دين الشعب – في حين أن العادة أن تكون الثورات من الشعب على الحكومة– وشق عصا الطاعة

منها "أي من الحكومة" لأحكام الإسلام بل ارتداد عنه من الحكومة أولاً ومن الأمة ثانياً، وهو أقصر طريق إلى الكفر)[٢٢].

وأخيرا نسأل الله الهداية والبصيرة للأمة في ضوء الكتاب والسنة ،وكذا العزة والنصرة والثبات على الملة.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

المصادر والمراجع:

١- الدر المنثور في التفسير بالماثور٢٧٩/١٢،عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: (٩١١هـ) مركز هجر للبحوث، الناشر : دار هجر – مصر سنة النشر : ١٤٢٤هـ .

٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٥٣٦/٢المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٣- تفسير القرآن العظيم اسماعيل بن كثير ٢٦/٣دار طيبة للنشر ط٢ ١٤٢٠هـ.

٤-تفسير المنار

٥- تفسير مقاتل بن سليمان أبو الحسن مقاتل بن سليمان ٢٤٠/١، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤ هـ ط الأولى.

٦-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان١١٨/١ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ،عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤٢٠هـ

٧- جامع البيان في تأويل القرآن ٦٠/١٢ محمد بن جرير ، أبو جعفر الطبري، المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة ط الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٨-جامع البيان في تفسير القرآن للطبري٤٨٦/٨، المؤلف : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الناشر : دار هجر.ط الأولى.

٩-شبهات وردود إعداد : موقع الكاشف

١٠- شرح العقيدة الطحاوية المؤلف : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

١١-في ظلال القرآن ١١ ٣٢٧١ سيد قطب.

١٢-- كمال الدين الإسلامي ٦٥/١عبد الله بن جارالله بن إبراهيم آل جارالله ط الأولى وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤١٨هـ.

١٣- لماذا يمزق القرآن الكريم ؟؟ المؤلف : علي بن نايف الشحود ١٠٢/١

١٤- مجلة البحوث الإسلامية٨٦/١٠ – ٩١ المؤلف : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الشيخ الفوزان).

١٥-[١]تفسير اللباب لابن عادل ،أبوحفص عمر الدمشقي، دار الكتب العلمية ٢٤٩٢/١.

[١]تفسير القرآن العظيم اسماعيل بن كثير ٢٦/٣دار طيبة للنشر ط٢ ١٤٢٠ هـــــــ.

١ شرح العقيدة الطحاوية المؤلف : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ١٢٧/١.

٢ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٥٣٦/٢المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي

[٤] جامع البيان في تأويل القرآن ٦٠/١٢ محمد بن جرير ، أبو جعفر الطبري، المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة ط الأولى ، ١٤٢٠ هـ

[٥] جامع البيان في تفسير القرآن للطبري٤٨٦/٨، المؤلف : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الناشر : دار هجر.ط الأولى

[٦] تفسير القرآن العظيم إسماعيل بن كثير ٥٨/١

[٧] تفسير مقاتل بن سليمان أبو الحسن مقاتل بن سليمان ٢٤٠/١، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤ هـ ط الأولى

[٨] جامع البيان ١٨١/٩.

[٩] الأحزاب ٢٤.

[١٠] في ظلال القرآن ١١ \ ٣٢٧ سيد قطب.

[١١] تفسير المنار ١٠٨\٣- ١٠٩

[١٢] مجلة البحوث الإسلامية٨٦/١٠ – ٩١ المؤلف : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الشيخ الفوزان)

[١٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان١١٨/١ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ،عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤٢٠هـ

[١٤] لماذا يمزق القرآن الكريم ؟؟ المؤلف : علي بن نايف الشحود ١٠٢/١

[١٥] تفسير الطبري ٣٣٩/٦ ط١ ١٤٢٠ مؤسسة الرسالة تحقيق: أحمد شاكر

[١٦] تفسير اللباب لابن عادل ،أبوحفص عمر الدمشقي، دار الكتب العلمية ٢٤٩٢/١.

[١٧] الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، باب قوله تعالى (ولاتكرهوا فتياتكم)، ٨/ ٢٤٤.

[١٨] كمال الدين الإسلامي ٦٥/١عبد الله بن جاراللہ بن إبراهيم آل جاراللہ ،ط الأولى وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤١٨هـ.

[١٩] تفسير ابن كثير ٥٤٤/٦

[٢٠] . الدر المنثور في التفسير بالماثور٢٧٩/١٢،عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت : (٩١١هـ) مركز هجر للبحوث الناشر : دار هجر – مصر سنة النشر : ١٤٢٤هـ

[٢١] شرح العقيدة الطحاوية ١٦٦/١المؤلف : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

[٢٢] شبهات وردود إعداد : موقع الكاشف ١٦٨/١-١٦٩